جورجيا في الحرب العالمية الأولى وإعلان الاستقلال (1914–1918)

دراسة تاريخية

Georgia in the First World War and the Declaration of Independence (1914–1918)

عبد الودود احمد حمد

Abdul Wadood Ahmed Hamad

eduhm230232@uosamarra.edu.iq

المديرية العامة لتربية صلاح الدين/ قسم تربية سامراء

General Directorate of Education of Salah al-Din / Samarra Education Department

الكلمات المفتاحية: جورجيا, الحرب العالمية الأولى, جبهة القوقاز, الإمبراطورية الروسية, الدولة العثمانية, ثورة فبراير 1917.

Keywords: Georgia; First World War; Caucasus Front; Russian Empire; Ottoman Empire; February Revolution of 1917.

الملخص

يتناول هذا البحث تاريخ جورجيا خلال الحرب العالمية الأولى (1914–1918)، من خلال دراسة أوضاعها السياسية والعسكرية، وتحليل دورها في الصراع الدولي الذي شهدته منطقة القوقاز، وصولًا إلى إعلان استقلالها في 26 أيار 1918. ويهدف البحث إلى بيان الأهمية الجيوسياسية لجورجيا، وشرح طبيعة السياسة الروسية تجاهها، وتحليل مواقف دول التحالف والوفاق من القضية الجورجية، إلى جانب دراسة مشاركة الجورجيين في العمليات العسكرية على جبهة القوقاز، وبيان أثر الثورتين الروسيتين عام 1917 في تطور الحركة الوطنية الجورجية. واعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي، بالاستناد إلى المصادر العربية والأجنبية والدراسات الأكاديمية، مع تتبع الأحداث وفق تسلسلها الزمني وتحليلها في ضوء الظروف السياسية والعسكرية التي رافقت الحرب العالمية الأولى. وتوصل البحث إلى أن الموقع الاستراتيجي لجورجيا جعلها محورًا للتنافس بين الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية، ثم بين القوى المتحاربة خلال الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي منحها أهمية عسكرية وسياسية كبيرة. كما أظهرت الدراسة أن مشاركة الجورجيين في الجيش الروسي، إلى جانب التطورات التي شهدتها جبهة القوقاز، أسهمت في تنامي الوعي القومي والحركة الوطنية. وبينت الدراسة أن انهيار الإمبراطورية الروسية عقب ثورتي فبراير وأكتوبر عام 1917، وتشكيل مؤسسات ما وراء القوقاز، ثم انعقاد مؤتمري طرابزون وباتوم، كانت جميعها عوامل مهدت لإعلان استقلال جورجيا في 26 أيار 1918. كما خلص البحث إلى أن هذا الاستقلال، على الرغم من قصر مدته، مثّل نقطة تحول بارزة في التاريخ الجورجي الحديث.

Abstract

This study examines the history of Georgia during the First World War (1914–1918) by analyzing its political and military conditions and its role in the international conflict in the Caucasus region, culminating in the declaration of its independence on 26 May 1918. The study aims to highlight Georgia's geopolitical significance, explain the nature of Russian policy toward the country, analyze the attitudes of the Central Powers and the Allied Powers toward the Georgian question, examine the participation of Georgians in military operations on the Caucasus Front,

and investigate the impact of the Russian Revolutions of 1917 on the development of the Georgian national movement. The study adopts the historical-analytical approach, relying on Arabic and foreign sources as well as academic studies. It traces historical events in chronological order and analyzes them within the political and military context of the First World War. The findings reveal that Georgia's strategic location made it a focal point of rivalry between the Russian and Ottoman Empires, and later among the major belligerent powers during the First World War, giving it considerable military and political importance. The study also demonstrates that the participation of Georgians in the Russian army, together with the developments on the Caucasus Front, contributed significantly to the growth of national consciousness and the strengthening of the Georgian national movement. Furthermore, the collapse of the Russian Empire following the February and October Revolutions of 1917, the establishment of the Transcaucasian institutions, and the convening of the Trabzon and Batum Conferences collectively paved the way for Georgia's declaration of independence on 26 May 1918. The study concludes that, despite its brief duration, this independence represented a major turning point in modern Georgian history.

المقدمة

تُعد منطقة القوقاز من أكثر مناطق العالم أهمية من الناحية الجيوسياسية، إذ شكّلت عبر التاريخ نقطة التقاء بين قارتي آسيا وأوروبا، وميدانًا للتنافس بين القوى الإقليمية والدولية الساعية إلى بسط نفوذها على طرق التجارة والممرات الاستراتيجية. وتحتل جورجيا موقعًا متميزًا في قلب هذه المنطقة، الأمر الذي أكسبها أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية كبيرة، وجعلها عرضة للصراعات المتكررة بين الإمبراطوريات المتعاقبة، ولا سيما الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، أصبحت جورجيا بحكم تبعيتها للإمبراطورية الروسية جزءًا من مسرح العمليات العسكرية على جبهة القوقاز، فكان لموقعها الاستراتيجي وثرواتها الطبيعية وشبكات مواصلاتها دور مهم في الخطط العسكرية للدول المتحاربة كما شارك آلاف الجورجيين في صفوف الجيش الروسي، في الوقت الذي سعت فيه القوى الوطنية

الجورجية إلى استثمار ظروف الحرب والتطورات السياسية داخل روسيا لتحقيق هدفها المتمثل في الاستقلال الوطني.

وقد أدت الأحداث الكبرى التي شهدتها روسيا خلال عام 1917، والمتمثلة في ثورتي فبراير وأكتوبر، إلى انهيار السلطة القيصرية ثم الحكومة المؤقتة، الأمر الذي أوجد فراغًا سياسيًا في منطقة جنوب القوقاز، وأتاح للقوى السياسية الجورجية فرصة إعادة تنظيم مؤسساتها الوطنية وأسهمت التطورات العسكرية، ومعاهدة بريست–ليتوفسك، ومفاوضات طرابزون وباتوم، في تسريع مسار الحركة الوطنية، حتى تُوجت بإعلان استقلال جورجيا في 26أيار 1918، لتعود إلى الوجود بوصفها دولة مستقلة بعد أكثر من قرن من الحكم الروسي.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول مرحلة مفصلية في التاريخ الجورجي الحديث، شهدت انتقال جورجيا من إقليم خاضع للإمبراطورية الروسية إلى دولة مستقلة، في ظل ظروف دولية وإقليمية معقدة فرضتها الحرب العالمية الأولى كما يسلط الضوء على أثر الصراع الدولي في تنامي الحركة القومية الجورجية، وعلى الدور الذي أدته الأحداث العسكرية والسياسية في تشكيل الدولة الجورجية الحديثة.

ويهدف البحث إلى دراسة أوضاع جورجيا خلال الحرب العالمية الأولى، من خلال تحليل أهميتها الجيوسياسية، وبيان سياسة القوى المتحاربة تجاهها، ودراسة مشاركة الجورجيين في العمليات العسكرية على جبهة القوقاز، فضلًا عن تتبع التطورات السياسية التي شهدتها البلاد منذ اندلاع الثورة الروسية عام 1917 حتى إعلان الاستقلال في عام 1918، مع بيان أثر هذه الأحداث في رسم ملامح الدولة الجورجية الحديثة.

وقُسِّم البحث إلى ثلاثة مباحث؛ تناول المبحث الأول الأوضاع الجغرافية والسياسية لجورجيا قبيل الحرب العالمية الأولى، وخصص المبحث الثاني لدراسة أوضاع جورجيا خلال الحرب، ومواقف القوى المتحاربة، والعمليات العسكرية على جبهة القوقاز، أما المبحث الثالث فقد تناول التطورات السياسية التي أعقبت الثورتين الروسيتين، وتأسيس مؤسسات ما وراء القوقاز، وانتهاءً بإعلان استقلال جورجيا في السادس والعشرين من أيار 1918.

المبحث الأول

جورجيا عشية الحرب العالمية الأولى

اولا: الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية لجورجيا:

تحتل جورجيا موقعًا جغرافيًا متميزًا في منطقة جنوب القوقاز، إذ تقع عند نقطة التقاء قارتي آســـيا وأوروبا، الأمر الذي منحها أهمية جيوسياسية واستراتيجية كبيرة عبر مختلف العصور التاريخية فهي تحدها روسيا من الشمال، وأذربيجان من الشرق والجنوب الشرقي، وأرمينيا وتركيا من الجنوب، بينما يحدها البحر الأسود من الغرب، وهو ما جعلها حلقة وصل بين أوروبا الشرقية وآسيا الغربية والشرق الأوسط. وقد أكسبها هذا الموقع دورًا محوريًا في طرق التجارة الدولية، كما جعلها معبرًا طبيعيًا للقوافل والجيوش التي تحركت بين الشرق والغرب منذ العصور القديمة ولم تكن أهمية جورجيا نابعة من موقعها الجغرافي فحسب، بل أيضًا من طبيعة تضاريسها المتنوعة، إذ تغطي الجبال والغابات مساحات واسعة من أراضيها، بينما تنتشر التجمعات السكانية في السهول والوديان الخصبة الممتدة من غرب البلاد إلى شرقها وتُعد العاصمة تبليسي أكبر المدن الجورجية وأكثرها أهمية، إذ شكّلت مركزًا سياسيًا وإداريًا واقتصاديًا، كما كانت عقدة مواصلات تربط بين مختلف مناطق القوقاز وإلى جانب تبليسي برزت مدن أخرى مثل باتومي وكوتايسي وسوخومي، التي لعبت أدوارًا اقتصادية وعسكرية مهمة، ولا سيما خلال الحرب العالمية الأولى (الزهيري, 2024: 268).

كما تمتلك جورجيا ثروات طبيعية متنوعة أســـهمت في زيادة أهميتها الاقتصـــادية، إذ تحتوي على رواســـب من المنغنيز والفحم والنفط والباريت والأنديزيت، وكانت هذه الموارد محل اهتمام القوى الصـــناعية الكبرى، ولا سيما ألمانيا وروسيا، لما لها من أهمية في الصناعات العسكرية وصناعة الحديد والصلب وأسهمت هذه الثروات في تحويل جورجيا إلى منطقة تنافس اقتصادي وسياسي بين الدول الكبرى، خاصة مع اقتراب اندلاع الحرب العالمية الأولى (محمد, 2017: 418).

ومن العوامل التي عززت المكانة الاستراتيجية لجورجيا امتلاكها عددًا من الموانئ المهمة على البحر الأسود، وفي مقدمتها ميناء باتومي، الذي أصبح منذ أواخر القرن التاسع عشر أحد أهم موانئ تصدير النفط القادم من حقول باكو، فضلًا عن تصدير خام المنغنيز والعديد من المنتجات الأخرى. وقد أدى تطور حركة

الملاحة عبر ميناء باتومي إلى تحوله إلى مركز صـناعي وتجاري رئيس، وربط اقتصـاد القوقاز بالأسـواق الأوروبية والعالمية أما مدينة تبليسـي، ورغم عدم إطلالها على البحر، فقد احتفظت بأهميتها بوصـفها مركزًا للإدارة الروسـية في القوقاز، وقاعدة عسـكرية رئيسـة، ونقطة التقاء لطرق المواصـلات المؤدية إلى أرمينيا وأذربيجان وإيران (الزهيري, 2024: 268).

وشكّلت شبكة المواصلات، ولا سيما السكك الحديدية، عنصرًا أساسيًا في الأهمية الاستراتيجية لجورجيا فقد أنشأت الإمبراطورية الروسية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر خطوطًا حديدية ربطت ميناء بوتي بمدينة تبليسـي، ثم امتدت إلى باتومي وباكو وكارس ويريفان، الأمر الذي سـهّل نقل القوات العسكرية والمواد الخام والبضائع، وربط موانئ البحر الأسود بمنطقة بحر قزوين. كما أُنشئت خطوط فرعية أخرى لخدمة مناطق التعدين والإنتاج الصناعي، وهو ما جعل جورجيا إحدى أهم عقد النقل في جنوب القوقاز وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، أصـبحت هذه الشـبكة عنصـرًا حاسـمًا في تحركات الجيش الروسـي وإمداداته العسكرية على جبهة القوقاز، كما ساهمت في زيادة اهتمام القوى المتحاربة بالسيطرة على المنطقة (العلاق, 2010: 214).

ثانيا: خضوع جورجيا للسيطرة الروسية وتطور النفوذ الروسي:

ارتبطت بداية النفوذ الروسـي في جورجيا بجملة من المتغيرات السـياسـية والعسـكرية التي شـهدتها منطقة القوقاز خلال القرنين السـابع عشـر والثامن عشـر، إذ وجدت الممالك الجورجية نفسـها محاصـرة بين قوتين إقليميتين كبيرتين هما الدولة العثمانية والدولة الصـفوية، الأمر الذي دفع حكامها إلى البحث عن قوة مسيحية تستطيع توفير الحماية والدعم العسكري وقد برزت روسيا القيصرية بوصفها الحليف الأكثر قدرة على تحقيق هذا الهدف، خاصـة بعد اتسـاع نفوذها في جنوب روسـيا وبدء اهتمامها بالتوسـع نحو القوقاز والبحر الأسـود وشـهدت العلاقات الجورجية–الروسـية محاولات مبكرة للتحالف، إلا أن روسـيا لم تكن في البداية مسـتعدة للدخول في مواجهة مباشـرة مع الدولة العثمانية، ولذلك لم تسـتجب لطلبات المسـاعدة التي قدمها الحكام الجورجيون في القرن السـابع عشـر غير أن السـياسـة الروسـية تغيرت خلال عهد القيصـر بطرس الأكبر، الذي رأى في القوقاز منطقة ذات أهمية اسـتراتيجية، ولا سـيما في إطار الصـراع مع العثمانيين والصفويين وقد ازداد هذا التوجه وضوحًا في عهد الإمبراطورة كاثرين الثانية، التي تبنت سياسة توسعية هدفت

إلى بسـط النفوذ الروسـي على منطقة القوقاز وجعلها حاجزًا دفاعيًا أمام أي تهديد قادم من الجنوب (محمد, 2017: 422).

وأدت هذه التطورات إلى توقيع معاهدة جورجيفسك (Georgievsk) سنة 1783 بين روسيا ومملكة كارتلي–كاخيتي بقيادة الملك إيراكلي الثاني، والتي شكلت نقطة تحول في تاريخ جورجيا الحديث. فقد نصت المعاهدة على وضع المملكة الجورجية تحت الحماية الروسية مقابل تعهد روسيا بالدفاع عنها ضد أي اعتداء خارجي، كما منحت روسـيا حق التدخل في شـؤون المملكة، وربطت السـياسـة الخارجية الجورجية بالإرادة الروسية، وأوجدت وجودًا عسكريًا دائمًا للقوات الروسية في تبليسي. وبذلك أصبحت جورجيا عمليًا ضمن دائرة النفوذ الروسي، رغم احتفاظها الشكلي بقدر من الاستقلال الداخلي (التميمي, 2026: 393).

غير أن الحماية الروسية لم تمنع استمرار الضغوط الخارجية، كما أنها مهدت تدريجيًا لإنهاء استقلال المملكة الجورجية. فبعد وفاة الملك إيراكلي الثاني، شهدت البلاد اضطرابات سياسية وصراعات على الخلافة استغلتها روسيا لتوسيع نفوذها بصورة مباشرة. وفي عام 1801 أصدر القيصر ألكسندر الأول مرسومًا بضم مملكة كارتلي–كاخيتي إلى الإمبراطورية الروسـية، منهياً بذلك اسـتقلالها السـياسـي، ثم تبع ذلك ضـم بقية الإمارات والممالك الجورجية خلال السنوات اللاحقة حتى أصـبحت جورجيا بأكملها خاضـعة للإدارة الروسـية وبعد عملية الضـم، شـرعت السـلطات الروسـية في إعادة تنظيم الإدارة المحلية بما يتوافق مع النظام الإداري للإمبراطورية، فقُسـمت البلاد إلى وحدات إدارية جديدة، وأصـبحت تبليسـي مقرًا للحاكم العام لمنطقة ما وراء القوقاز كما عملت الحكومة الروسـية على إحكام سـيطرتها على المؤسـسـات السـياسـية والإدارية والقضـائية، وأدخلت القوانين الروسـية محل النظم المحلية، الأمر الذي أدى إلى تراجع دور النخبة الجورجية التقليدية في إدارة شـؤون البلاد. وفي الوقت نفسـه، سـعت روسـيا إلى دمج جورجيا اقتصـاديًا وإداريًا ضـمن بنيتها الإمبراطورية، من خلال تطوير شبكات الطرق والسكك الحديدية وربطها بالمراكز الروسية الكبرى ولم يقتصر النفوذ الروسـي على الجوانب السـياسـية والإدارية، بل امتد إلى المجالين الثقافي والديني، حيث انتهجت السلطات القيصرية سياسة هدفت إلى تعزيز الهوية الروسية على حساب الخصوصية الجورجية. وشملت هذه السياسة نشر اللغة الروسية في المؤسسات التعليمية والإدارية، وتقليص استقلال الكنيسة الجورجية، وتشجيع اندماج النخب المحلية في مؤسـسـات الدولة الروسـية وقد واجهت هذه الإجراءات مقاومة متزايدة من المثقفين

والقوميين الجورجيين الذين رأوا فيها محاولة لطمس الهوية الوطنية وإضعاف الشخصية التاريخية لجورجيا(التميمي, 2026: 397).

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بدأت الحركة الوطنية الجورجية تكتسب زخمًا متزايدًا، مدفوعة بانتشار التعليم وظهور الصحافة الوطنية وتنامي الوعي القومي. وأسهمت سياسات الترويس، إلى جانب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، في تعزيز المطالب بالإصلاح الذاتي ثم الاستقلال ولذلك، عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914، كانت جورجيا لا تزال جزءًا من الإمبراطورية الروسية، إلا أن الشعور القومي كان قد بلغ مرحلة متقدمة، وهو ما هيأ الظروف لظهور الحركة الاستقلالية التي ستتوج بإعلان استقلال جورجيا في أيار 1918 .(العلاق, 2010: 222).

ثالثا: الأوضاع السياسية والاجتماعية والحركة الوطنية الجورجية قبيل الحرب العالمية الأولى

شهدت جورجيا منذ ضمها إلى الإمبراطورية الروسية في 12أيلول 1801 تحولات سياسية واجتماعية عميقة، إذ عملت السلطات القيصرية على دمجها إداريًا وسياسيًا ضمن الإمبراطورية، مع تطبيق سياسة هدفت إلى تعزيز النفوذ الروسي وإضعاف المؤسسات الجورجية التقليدية وقد ترتب على ذلك تراجع دور الأسرة المالكة والنبلاء الجورجيين، وإلغاء كثير من الامتيازات المحلية، وربط الإدارة الجورجية مباشرة بالحكومة الروسية في سانت بطرسبورغ وخلال القرن التاسع عشر، ولا سيما بعد حرب القرم–1853) (1856، شهدت الإمبراطورية الروسية سلسلة من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية انعكست على جورجيا، حيث توسعت شبكات النقل والسكك الحديدية، ونمت المدن الرئيسة، وخاصة تبليسي وباتومي، اللتان أصبحتا مركزين للتجارة والإدارة كما أدى افتتاح خط بوتي–تبليسي عام 1872، ثم خط باتومي–تبليسي–باكو في 1883، إلى زيادة أهمية جورجيا الاقتصادية والاستراتيجية، وربطها بموانئ البحر الأسود وحقول النفط في باكو وقد أسهم ذلك في ازدهار التجارة ونشوء طبقة من التجار والمثقفين، إلا أنه زاد أيضًا من أهمية جورجيا في السياسة التوسعية الروسية وفي العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، برزت حركة قومية جورجية قادها عدد من المثقفين الذين سعوا إلى الحفاظ على اللغة الجورجية والتراث الوطني في مواجهة سياسة الترويس التي انتهجتها السلطات القيصرية. وقد ركزت هذه الحركة على نشر التعليم باللغة الجورجية، وإحياء الأدب القومي، والمطالبة بإصلاحات سياسية تمنح الجورجيين قدرًا أكبر من الحكم الذاتي ومع تطور الحياة الثقافية،

ظهرت جمعيات وصحف وطنية كان لها دور مهم في رفع مستوى الوعي القومي بين مختلف فئات المجتمع (Janelidze, 2009: 71-72).

وشكلت الثورة الروسية الأولى سنة 1905 نقطة تحول مهمة في تاريخ جورجيا، إذ شهدت البلاد موجة واسعة من الإضرابات العمالية والاحتجاجات الفلاحية، إلى جانب نشاط الأحزاب السياسية، وعلى رأسها الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي انقسم لاحقًا إلى البلاشفة والمناشفة وقد كان للمناشفة نفوذ واسع في جورجيا مقارنة ببقية أنحاء الإمبراطورية الروسية، الأمر الذي جعل الحياة السياسية أكثر نشاطًا، وأسهم في تنامي المطالب بالإصلاح الدستوري والحكم الذاتي وعلى الرغم من نجاح الحكومة القيصرية في احتواء الثورة، فإنها لم تتمكن من القضاء على الحركة الوطنية التي واصلت نشاطها السياسي والتنظيمي ومع اقتراب عام 1914، كانت جورجيا قد أصبحت إحدى أهم مناطق الإمبراطورية الروسية في جنوب القوقاز، سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية فقد كانت تبليسي مقر الحاكم العام لمنطقة ما وراء القوقاز، كما شكلت شبكة السكك الحديدية والموانئ الجورجية عنصرًا أساسيًا في نقل القوات والإمدادات العسكرية الروسية نحو الجبهة العثمانية وفي الوقت نفسه، ازداد نشاط النخب السياسية الجورجية التي بدأت تنظر إلى الحرب العالمية الأولى بوصفها فرصة لإعادة طرح قضية الاستقلال، مستفيدة من احتمال ضعف الإمبراطورية الروسية نتيجة الحرب(Janelidze, 2009: 71-72).

المبحث الثاني

جورجيا خلال الحرب العالمية الأولى(1914-1917)

اولا: سياسة دول التحالف والوفاق تجاه جورجيا

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28تموز 1914 بين دول التحالف بقيادة ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية من جهة، ودول الوفاق بقيادة بريطانيا وفرنسا وروسيا من جهة أخرى، اكتسبت منطقة جنوب القوقاز، ولا سيما جورجيا، أهمية استراتيجية متزايدة فقد كانت جورجيا آنذاك جزءًا من الإمبراطورية الروسية، وتقع على مقربة من الحدود العثمانية، فضلاً عن إشرافها على البحر الأسود واحتضانها لخطوط السكك الحديدية التي تربط الموانئ القوقازية بالداخل الروسي، مما جعلها عنصرًا مهمًا في الخطط العسكرية

والسياسية للدول المتحاربة كانت روسيا تنظر إلى جورجيا بوصفها قاعدة متقدمة للدفاع عن حدودها الجنوبية، ومركزًا رئيسًا لإدارة العمليات العسكرية على جبهة القوقاز ولهذا السبب عززت وجودها العسكري في تبليسي وباتومي، وعملت على تعبئة السكان المحليين وإدماجهم في القوات الروسية. كما حرصت الحكومة القيصرية على منع تنامي الحركة القومية الجورجية خشية استغلال القوى الأوروبية لها في زعزعة السيطرة الروسية على المنطقة. ولذلك استمرت الإدارة الروسية في مراقبة الأحزاب والجمعيات الوطنية مع السماح لها بهامش محدود من النشاط السياسي ما دام لا يهدد الأمن العسكري خلال الحرب (Surguladze, 1972: 560).

أما ألمانيا فقد أدركت منذ بداية الحرب القيمة الاستراتيجية لجورجيا، ولا سيما لما تمتلكه من موارد طبيعية وموقع جغرافي يتحكم بطرق المواصلات المؤدية إلى القوقاز وآسيا الوسطى. كما كانت ألمانيا تسعى إلى تقويض النفوذ الروسي في المنطقة، ولذلك حاولت إقامة اتصالات مع الشخصيات الوطنية الجورجية، وشجعت التيارات المطالبة بالاستقلال عن روسيا. وكان الهدف الألماني يتمثل في إنشاء كيان سياسي صديق لألمانيا في جنوب القوقاز يحد من النفوذ الروسي، ويؤمن الوصول إلى الموارد الاقتصادية، ولا سيما النفط القادم من باكو عبر الأراضي الجورجية. وقد ازداد هذا الاهتمام بصورة واضحة بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا في أواخر عام 1914.(Shvelidze, 2003: 5).

دخلت الدولة العثمانية الحرب رسميًا في 29تشرين الأول 1914 بعد قصف الأسطول العثماني للموانئ الروسية في البحر الأسود، لتصبح جبهة القوقاز إحدى أهم جبهات القتال وكانت الحكومة العثمانية ترى في جورجيا منطقة ذات أهمية عسكرية واقتصادية، ليس فقط لقربها من الأناضول، وإنما أيضًا لأنها تمثل طريقًا نحو القوقاز وآسيا الوسطى كما سعت إلى كسب تأييد بعض الشخصيات الجورجية المعارضة للحكم الروسي، مستغلة الروابط التاريخية والمصالح المشتركة في مواجهة الإمبراطورية الروسية إلا أن السياسة العثمانية كانت تختلف عن السياسة الألمانية، إذ ركزت بصورة أكبر على الأهداف العسكرية المباشرة واستعادة المناطق التي فقدتها روسيا في الحروب السابقة(Shvelidze, 2003: 5).

تمسكت دول الوفاق، وخاصة بريطانيا وفرنسا، بدعم استمرار السيطرة الروسية على القوقاز خلال سنوات الحرب، لأن روسيا كانت تمثل الجبهة الشرقية في مواجهة ألمانيا، وكان أي اضطراب في القوقاز قد يؤدي إلى إضعاف الموقف العسكري للحلفاء لذلك لم تُظهر الحكومتان البريطانية والفرنسية أي تأييد رسمي

للمطالب القومية الجورجية خلال المرحلة الأولى من الحرب، بل أولتا اهتمامهما بالمحافظة على وحدة الإمبراطورية الروسية باعتبارها أحد أعمدة التحالف العسكري ضد دول المحور ومع استمرار الحرب خلال عامي 1915و1916، بدأت موازين القوى تتغير تدريجيًا نتيجة الخسائر العسكرية والاقتصادية التي تعرضت لها روسيا، وهو ما انعكس على الأوضاع في جورجيا فقد ازدادت الاتصالات بين النخب الجورجية وألمانيا، كما تصاعدت المطالب بالحكم الذاتي، في حين بدأت السلطات الروسية تواجه صعوبة متزايدة في فرض سيطرتها الكاملة على الحياة السياسية وقد مهدت هذه التطورات الطريق للأحداث الكبرى التي شهدها عام 1917عقب اندلاع الثورة الروسية، والتي غيرت مستقبل جورجيا بصورة جذرية، وأفسحت المجال أمام انتقال الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاح إلى المطالبة بالاستقلال الكامل(Shvelidze, 2003: 7).

ثانيا: مشاركة الجورجيين في الحرب العالمية الأولى تحت الراية الروسية(1914-1917)

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28تموز 1914، كانت جورجيا جزءًا لا يتجزأ من الإمبراطورية الروسية، ولذلك لم يكن للجورجيين قرار مستقل بشأن المشاركة في الحرب، بل وجدوا أنفسهم جزءًا من المجهود الحربي الروسي وقد شرعت السلطات القيصرية منذ الأيام الأولى للحرب في تعبئة الموارد البشرية والعسكرية في منطقة القوقاز، فأُلحقت أعداد كبيرة من الجورجيين بوحدات الجيش الروسي، سواء في القوات النظامية أو في الوحدات القوقازية الخاصة، للمشاركة في العمليات العسكرية ضد الدولة العثمانية على جبهة القوقاز واعتمدت القيادة الروسية على الجورجيين لعدة أسباب، كان من أهمها خبرتهم في القتال في المناطق الجبلية، ومعرفتهم الدقيقة بطبيعة تضاريس القوقاز، فضلاً عن ولاء عدد كبير من الضباط الجورجيين للمؤسسة العسكرية الروسية نتيجة خدمتهم الطويلة فيها منذ القرن التاسع عشر. ولهذا، شارك الجورجيون في الدفاع عن المواقع الروسية في القوقاز، كما أُسندت إليهم مهام الاستطلاع، وحماية خطوط الإمداد، والمشاركة في الهجمات التي استهدفت القوات العثمانية وقد أثارت أعداد الجنود الجورجيين المشاركين في الحرب جدلاً بين الباحثين، إذ تختلف الإحصاءات باختلاف المصادر الروسية والجورجية، إلا أن المؤكد أن عشرات الآلاف من الجورجيين خدموا في الجيش الروسي خلال سنوات الحرب. كما برز عدد من القادة العسكريين الجورجيين الذين شغلوا مناصب قيادية في القوات الروسية، وأسهموا في إدارة العمليات العسكرية

على جبهة القوقاز، الأمر الذي عكس المكانة التي احتلها الضـــباط الجورجيون داخل الجيش القيصـــري (Vachnadze, 2003: 47).

شكلت جبهة القوقاز إحدى أهم مسارح العمليات العسكرية بين روسيا والدولة العثمانية. وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب في 29تشرين الأول 1914، بدأت المواجهات العسكرية المباشرة على طول الحدود الممتدة بين شرق الأناضول وجنوب القوقاز. وكانت القوات الروسية، التي ضمت وحدات جورجية، مسؤولة عن حماية الطرق المؤدية إلى تبليسي وباتومي، إضافة إلى تأمين خطوط السكك الحديدية التي كانت تنقل القوات والذخائر والمؤن العسكرية إلى الجبهة ومن أبرز معارك هذه المرحلة معركة ساريقاميش التي دارت بين 22كانون الأول 1914 و17 كانون الثاني 1915، والتي حاول خلالها وزير الحربية العثماني أنور باشا تنفيذ هجوم واسع لتطويق الجيش الروسي في القوقاز. غير أن الظروف المناخية القاسية، وصعوبة التضاريس، إضافة إلى المقاومة الروسية، أدت إلى فشل الهجوم العثماني وتكبّد الجيش العثماني خسائر بشرية كبيرة. وقد شاركت الوحدات الجورجية ضمن الجيش الروسي في هذه المعركة، وأسهمت في الدفاع عن المواقع الروسية وفي العمليات المضادة التي انتهت بانتصار روسيا واستمرار سيطرتها على معظم مناطق القوقاز (Vachnadze, 2003: 48).

خلال عام 1915واصلت القوات الروسية تقدمها داخل الأناضول الشرقي، مستفيدة من تفوقها العسكري بعد انتصارها في ساريقاميش، وشاركت التشكيلات الجورجية في عدد من العمليات التي استهدفت المواقع العثمانية. كما لعبت السكك الحديدية الممتدة من باتومي وتبليسي إلى باكو دورًا حيويًا في نقل الإمدادات والجنود، الأمر الذي جعل جورجيا تمثل العمق اللوجستي الرئيس للجيش الروسي في جبهة القوقاز وفي 16شباط 1916 تمكنت القوات الروسية من احتلال مدينة أرضروم، ثم سيطرت على طرابزون في 18 نيسان 1916، وهو ما عزز موقفها العسكري في المنطقة وأسهم الجورجيون في هذه العمليات ضمن وحدات الجيش الروسي، سواء في الأعمال القتالية أو في الخدمات العسكرية والإدارية، الأمر الذي عزز خبرتهم العسكرية، لكنه في الوقت نفسه زاد من الخسائر البشرية التي تكبدها المجتمع الجورجي خلال الحرب (مهدي, 2015: 196).

رغم مشـــاركة الجورجيين الواســـعة في الجيش الروســـي، فإن الحركة الوطنية الجورجية لم تتخلَّ عن هدفها الأساسـي المتمثل في تحقيق الاستقلال فقد كانت النخب السياسية تنظر إلى الحرب بوصفها فرصـة تاريخية لإضـعاف الإمبراطورية الروسـية، ولذلك حافظت على اتصـالاتها مع ألمانيا وبعض القوى الأوروبية، أملاً في الحصـول على دعم دولي يمكن استثماره إذا تعرضـت روسيا للانهيار وقد ازداد هذا التوجه وضـوحًا مع تفاقم الأزمة الداخلية الروسـية خلال عام 1916، ثم انفجارها مع ثورة شـباط 1917، التي غيّرت مسـار الحرب ومسـتقبل جورجيا بصـورة جذرية، ومهدت لانتقالها من ولاية خاضـعة للإمبراطورية الروسـية إلى دولة مستقلة في أيار 1918. (مهدي, 2015: 197).

ثالثا: جبهة القوقاز وأثر العمليات العسكرية في جورجيا(1914–1917)

مثّلت جبهة القوقاز إحدى أهم جبهات الحرب العالمية الأولى، لما تمتعت به من أهمية اســـتراتيجية وعسـكرية، إذ كانت تمثل نقطة التقاء المصـالح الروسـية والعثمانية في جنوب القوقاز وشـرق الأناضـول وقد بدأت العمليات العسـكرية على هذه الجبهة بصـورة فعلية عقب دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب دول التحالف في 29تشـرين الأول 1914، لتتحول جورجيا، بحكم خضـوعها للإمبراطورية الروسـية، إلى قاعدة عسكرية رئيسة لإدارة العمليات الروسية في المنطقة وقد استُخدمت مدن تبليسي وباتومي مراكز لقيادة القوات الروسـية، ومسـتودعات للعتاد العسـكري، ومحطات لنقل الجنود والإمدادات إلى خطوط القتال وكانت شـبكة السـكك الحديدية التي أنشـأتها روســيا خلال العقود الســابقة للحرب ذات أهمية كبيرة في نجاح العمليات العسكرية، إذ ربطت بين موانئ البحر الأسود ومدينة تبليسي ثم امتدت نحو باكو ومدن جنوب القوقاز، الأمر الذي أتاح للجيش الروسي نقل القوات والذخائر بسرعة أكبر مقارنة بالقوات العثمانية، التي كانت تعاني ضعفًا في وسائل النقل والإمداد كما أسـهم ميناء باتومي في استقبال الإمدادات القادمة عبر البحر الأسـود، وهو ما منح روسيا ميزة لوجستية واضحة خلال السنوات الأولى للحرب(Surguladze, 1972: 566).

وفي أواخر عام 1914شـــنّت الدولة العثمانية هجومها الكبير على القوات الروســـية في منطقة سـاريقاميش، إلا أن فشـل هذه الحملة أدى إلى انتقال زمام المبادرة إلى الجيش الروسـي. وخلال عام 1915 اسـتمرت القوات الروسـية في تعزيز مواقعها داخل القوقاز، بينما ركزت القيادة العسـكرية على حماية خطوط المواصـلات الممتدة عبر الأراضـي الجورجية، خشـية تعرضـها لهجمات عثمانية قد تؤدي إلى قطع الإمدادات

عن الجبهة وشـهد عام 1916ذروة النجاح العسـكري الروسـي في القوقاز، إذ تمكن الجيش الروسـي من احتلال أرضـروم في 16 شـباط 1916، ثم طرابزون في 18 نيسـان 1916، وأعقب ذلك السـيطرة على أرزنجان في 25 تموز 1916 .وقد أدى هذا التقدم إلى تراجع القوات العثمانية في شرق الأناضـول، وأصـبح النفوذ الروسـي يمتد على مسـاحة واسـعة من المنطقة. وأسـهم الجنود والضـباط الجورجيون في هذه العمليات ضمن تشكيلات الجيش الروسي، سواء في الوحدات القتالية أو في أعمال النقل والإمداد والخدمات العسكرية (Tsereteli, 2014: 69).

إلا أن هذه النجاحات العسـكرية لم تسـتمر طويلًا، فقد بدأت الإمبراطورية الروسـية تعاني منذ أواخر عام 1916 من أزمة اقتصـادية وسـياسـية خانقة نتيجة طول أمد الحرب وارتفاع الخسـائر البشـرية، وهو ما انعكس بصـورة مباشـرة على جبهة القوقاز. فقد تراجعت كفاءة الجيش الروسـي، وظهرت بوادر التذمر بين الجنود، كما ازدادت صـعوبة توفير الإمدادات العسـكرية والغذائية، الأمر الذي أثر في القدرة القتالية للقوات الروسـية المتمركزة في جورجيا وجاءت ثورة شـباط 1917 لتحدث تحولًا جذريًا في أوضـاع الجبهة، إذ أدى سـقوط النظام القيصـري إلى اضـطراب القيادة العسـكرية وانخفاض الانضـباط داخل الجيش الروسـي، بينما بدأت الوحدات العسكرية بالانسحاب تدريجيًا من مواقعها وقد انعكس ذلك على جورجيا، حيث ضـعفت قبضـة روسـيا على منطقة جنوب القوقاز، ووجدت النخب السـياسـية الجورجية فرصـة مواتية لإعادة تنظيم صـفوفها والمطالبة بإدارة شؤون البلاد بصورة مستقلة عن السلطة المركزية في بتروغراد (Uludağ, 2015: 428).

المبحث الثالث

الطريق إلى استقلال جورجيا(1917–1918)

اولا: أثر الثورتين الروسيتين (فبراير وأكتوبر 1917) في جورجيا

شـكّلت الثورة الروسـية في 23 شـباط 1917 (8 آذار بالتقويم الميلادي الجديد) نقطة تحول حاسـمة في تاريخ الإمبراطورية الروسية، إذ أدت الاحتجاجات الشعبية والإضرابات العمالية في العاصمة بتروغراد إلى انهيار النظام القيصـــري، ثم إعلان تنازل القيصـــر نيقولا الثاني عن العرش في 2آذار 1917 (15 آذار بالتقويم الجديد)، لتنتهي بذلك سـلالة آل رومانوف التي حكمت روسـيا أكثر من ثلاثة قرون وقد انعكس هذا

الحدث مباشـرة على منطقة القوقاز، ومنها جورجيا، التي أصـبحت تعيش فراغًا سـياسـيًا وإداريًا نتيجة انهيار السـلطة المركزية الروسـية ولمعالجة هذا الفراغ، أنشـأت الحكومة المؤقتة الروسـية في 9آذار 1917 هيئة إدارية خاصـة عُرفت باسم اللجنة الخاصـة لإدارة ما وراء القوقاز(Ozakom) ، وكُلفت بإدارة شؤون جورجيا وأرمينيا وأذربيجان إلى حين اسـتقرار الأوضـاع داخل روسـيا. وضـمت هذه اللجنة عددًا من الشـخصـيات السـياسـية من شـعوب القوقاز، وكان هدفها المحافظة على الأمن واسـتمرار الإدارة المدنية، إلا أنها واجهت صعوبات كبيرة بسبب ضعف الحكومة المؤقتة، وتزايد المطالب القومية لدى شعوب المنطقة، واستمرار الحرب العالمية الأولى(Khonelidze, 2023: 33).

وفي جورجيا، اسـتقبلت القوى السـياسـية سـقوط النظام القيصـري بترحيب واسـع، إذ رأت فيه فرصـة للتخلص من سياسة الترويس التي فرضتها الإمبراطورية الروسية طوال القرن التاسع عشر كما شهدت المدن الجورجية نشـاطًا سياسـيًا مكثفًا، وبرزت الأحزاب الاشـتراكية، ولا سـيما حزب المناشـفة الذي كان يتمتع بتأييد شـعبي واسـع مقارنة بالبلاشـفة وقد طالب قادة المناشـفة بمنح جورجيا حكمًا ذاتيًا ضـمن نظام اتحادي ديمقراطي، مع الاستمرار في التعاون مع الحكومة المؤقتة الروسية إلى حين انتهاء الحرب غير أن التطورات داخل روسـيا أخذت منحى مختلفًا بعد نجاح الثورة البلشـفية في 25 أكتوبر/7 نوفمبر 1917 بقيادة فلاديمير لينين، والتي أطاحت بالحكومة المؤقتة وأعلنت انتقال السـلطة إلى السـوفييتات وقد رفضـت غالبية القوى السياسية في جورجيا الاعتراف بالحكومة البلشفية الجديدة، معتبرة أن استيلاء البلاشفة على السلطة تم بالقوة ولا يمثل إرادة جميع شـعوب الإمبراطورية السـابقة. ونتيجة لذلك، بدأت القيادات الجورجية تبحث عن صـيغة سياسية مستقلة لإدارة شؤون منطقة ما وراء القوقاز بعيدًا عن سيطرة موسكو(Janelidze, 2018: 168).

وكان لقرار الحكومة البلشـفية ببدء مفاوضـات السـلام مع ألمانيا والدولة العثمانية أثر بالغ في موقف الجورجيين، إذ خشيت القيادات السياسية في تبليسي من أن تؤدي تلك المفاوضات إلى التخلي عن الأراضـي القوقازية لصـالح الدولة العثمانية لذلك اتجهت القوى السـياسـية الجورجية إلى تعزيز التعاون مع الأرمن والأذربيجانيين لتشكيل إدارة إقليمية مستقلة تستطيع الدفاع عن مصـالح المنطقة ومواجهة التطورات العسكرية والسياسية المتسارعة(Uludağ, 2015: 428).

ثانيا: مفوضية ما وراء القوقاز، ومعاهدة بريست–ليتوفسك، ومؤتمرا طرابزون وباتوم(1917–1918)

أدى نجاح الثورة البلشفية في 7تشرين الثاني 1917 إلى انهيار سلطة الحكومة المؤقتة الروسية في منطقة ما وراء القوقاز، الأمر الذي دفع القوى السياسية في جورجيا وأرمينيا وأذربيجان إلى إنشاء إدارة إقليمية مستقلة تتولى إدارة شؤون المنطقة. وفي هذا الإطار، أُعلنت مفوضية ما وراء القوقاز (Transcaucasian Commissariat) في 15تشرين الثاني 1917 بمدينة تبليسي، وضمت ممثلين عن الشعوب الثلاثة، وكان هدفها الرئيس الحفاظ على الأمن وإدارة المؤسسات الحكومية ومواجهة التطورات العسكرية على جبهة القوقاز بعد انسحاب القوات الروسية. وقد رفضت المفوضية الاعتراف بالحكومة البلشفية في بتروغراد، مؤكدةً استقلال قراراتها السياسية والإدارية عن السلطة الجديدة في روسيا وفي الوقت نفسه، كانت الحكومة البلشفية قد بدأت مفاوضات سلام مع دول التحالف لإنهاء مشاركة روسيا في الحرب العالمية الأولى. وأسفرت هذه المفاوضات عن توقيع هدنة أرزروم بين القوات الروسية والعثمانية في 18كانون الأول 1917، مما أدى إلى توقف العمليات العسكرية على جبهة القوقاز بصورة مؤقتة. غير أن انسحاب القوات الروسية من مواقعها ترك فراغًا عسكريًا كبيرًا، الأمر الذي زاد من مخاوف الجورجيين والأرمن من احتمال تقدم القوات العثمانية نحو أراضيهم (Janelidze, 2018: 190).

جاءت الضربة الأكبر لمصالح شعوب القوقاز عندما وقعت الحكومة البلشفية معاهدة بريست–ليتوفسك مع دول التحالف في 3آذار 1918، إذ تنازلت روسيا بموجبها عن ولايات قارص وأردهان وباتوم للدولة العثمانية. وقد أثار هذا الاتفاق استياءً شديدًا لدى القيادات الجورجية، لأنها لم تكن طرفًا في المفاوضات، ورأت أن الحكومة البلشفية تخلت عن أراضٍ ذات أهمية استراتيجية دون استشارة سكانها. كما أدى ذلك إلى تصاعد الخلافات بين حكومة موسكو وممثلي ما وراء القوقاز، الذين أعلنوا رفضهم الاعتراف بالمعاهدة أو الالتزام ببنودها ولمواجهة هذه التطورات، اجتمع ممثلو جورجيا وأرمينيا وأذربيجان في 23شباط 1918 وأعلنوا تشكيل برلمان ما وراء القوقاز الذي تولى السلطة التشريعية في المنطقة، بينما أصبحت المفوضية مسؤولة عن السلطة التنفيذية وقد سعى هذا البرلمان إلى إيجاد حل سياسي للأزمة مع الدولة العثمانية، فقرر الدخول في مفاوضات مباشرة معها.

انعقد مؤتمر طرابزون في 14آذار 1918، واستمرت جلساته حتى 14نيسان 1918، بمشاركة وفود من الدولة العثمانية ومن جمهورية ما وراء القوقاز طالبت الدولة العثمانية خلال المؤتمر باعتراف وفد

ما وراء القوقاز بمعاهدة بريســـت–ليتوفســـك، وبإعادة الولايات الثلاث إليها، في حين حاول الوفد القوقازي الحفاظ على الوضـــع القائم قبل توقيع المعاهدة إلا أن تباين المواقف حال دون التوصـــل إلى اتفاق، فانتهت المفاوضـات بالفشـل، واسـتأنفت القوات العثمانية عملياتها العسـكرية، متقدمة نحو الأراضـي القوقازية وأمام التقدم العسكري العثماني، أعلن قادة المنطقة في 22نيسان 1918 قيام جمهورية ما وراء القوقاز الديمقراطية الفيدرالية، بهدف توحيد الجهود السياسية والعسكرية في مواجهة الأخطار الخارجية. غير أن هذه الدولة الوليدة واجهت منذ تأسيسـها خلافات عميقة بين الجورجيين والأرمن والأذربيجانيين حول السياسـة الخارجية والعلاقة مع الدولة العثمانية، فضلاً عن اختلاف المصالح القومية لكل طرف (Janelidze, 2018: 172).

وفي محاولة أخيرة للتوصـــل إلى تســـوية، عقد مؤتمر باتوم بين 11و26 أيار 1918، إلا أن المفاوضـات كشـفت اتسـاع الخلافات داخل الجمهورية الفيدرالية فقد مال الجورجيون إلى التقارب مع ألمانيا للحصـول على دعم سياسـي وعسكري، بينما فضّـل الأذربيجانيون التعاون مع الدولة العثمانية، في حين ركز الأرمن على حماية ما تبقى من أراضيهم وأدى هذا التباين إلى انهيار الجمهورية الفيدرالية بعد فترة قصيرة من قيامها، وأصـبح استمرارها أمرًا مستحيلاً وبذلك، هيأت التطورات السياسية والعسكرية الممتدة من أواخر عام 1917حتى أيار 1918الظروف المناســـبة لانتقال جورجيا من مرحلة الإدارة الذاتية المؤقتة إلى مرحلة إعلان الاســـتقلال الكامل، وهو الحدث الذي شـــكّل بداية الدولة الجورجية الحديثة (Janelidze, 2018: 174).

ثالثا: إعلان استقلال جورجيا في 26 أيار 1918 والاعتراف الدولي بها

أدت التطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها منطقة جنوب القوقاز خلال عامي 1918–1917 إلى تسارع الأحداث نحو إنهاء الارتباط بالإمبراطورية الروسية فقد كشفت التجربة القصيرة لـــجمهورية ما وراء القوقاز الديمقراطية الفيدرالية عن صـــعوبة اســـتمرار اتحاد يضـــم الجورجيين والأرمن والأذربيجانيين، بســـبب اختلاف توجهاتهم السياسية وتباين مصالحهم القومية، فضلًا عن تزايد الضغوط العسكرية التي مارستها الدولة العثمانية، واسـتمرار الخلافات بشـأن كيفية التعامل مع نتائج معاهدة بريسـت–ليتوفسـك ومطالب العثمانيين الإقليمية وقد أدى ذلك إلى تصـاعد الدعوات داخل الأوسـاط السـياسـية الجورجية إلى إنهاء الاتحاد الفيدرالي وإقامة دولة جورجية مستقلة وفي 26أيار 1918 أعلن المجلس الوطني الجورجي في مدينة تبليسي استقلال

جورجيا رسميًا، منهياً بذلك أكثر من قرن من السيطرة الروسية التي بدأت بضم مملكة كارتلي–كاخيتي عام 1801وأصدر المجلس الوطني وثيقة الاستقلال التي أكدت حق الشعب الجورجي في تقرير مصيره، وإقامة دولة ديمقراطية مستقلة تقوم على سيادة القانون، والمساواة بين المواطنين، واحترام الحقوق والحريات العامة، مع السعي إلى إقامة علاقات سلمية ومتوازنة مع الدول المجاورة ويُعد هذا الإعلان نقطة تحول مفصلية في التاريخ الجورجي الحديث، إذ أعاد لجورجيا شخصيتها الدولية بعد غياب دام أكثر من مائة عام (Jones, 2014: 27).

وبعد إعلان الاستقلال مباشرة، شُكلت أول حكومة وطنية برئاسة نويه جوردانيا (Noe Zhordania)، أحد أبرز قادة حزب المناشفة، الذي كان يتمتع بشعبية واسعة داخل المجتمع الجورجي. وقد واجهت الحكومة الجديدة تحديات كبيرة تمثلت في بناء مؤسسات الدولة، وإنشاء جيش وطني، وتنظيم الإدارة العامة، فضلًا عن معالجة الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي خلفتها سنوات الحرب العالمية الأولى والاضطرابات التي رافقت الثورة الروسية. كما عملت الحكومة على إعداد دستور للدولة الجديدة، وترسيخ النظام البرلماني، وتعزيز الوحدة الوطنية بين مختلف مكونات المجتمع الجورجي(Jones, 2014: 30).

وعلى الصعيد الخارجي، أدركت القيادة الجورجية أن بقاء الدولة الوليدة يتطلب الحصول على دعم إحدى القوى الكبرى، ولذلك اتجهت إلى تعزيز علاقاتها مع ألمانيا التي كانت تنظر إلى جورجيا بوصفها منطقة ذات أهمية استراتيجية في جنوب القوقاز. وفي 28أيار 1918 وُقعت اتفاقية تعاون بين الجانبين، أرسلت ألمانيا بموجبها قوات إلى جورجيا للمساهمة في حماية استقلالها من التهديدات الخارجية، ولا سيما التقدم العثماني والاضطرابات الداخلية. وقد منح هذا الدعم الحكومة الجورجية فرصة لترسيخ سلطتها خلال الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الأولى غير أن الهزيمة التي تعرضت لها ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وتوقيع هدنة مودروس في 30 تشرين الأول 1918 بين الدولة العثمانية ودول الوفاق، ثم هدنة كومبيين في 11 تشرين الثاني 1918 التي أنهت الحرب في أوروبا، أدت إلى تغير ميزان القوى في القوقاز فقد انسحبت القوات الألمانية من جورجيا، وحلت محلها قوات بريطانية سعت إلى منع تمدد النفوذ البلشفي في

المنطقة، والمحافظة على الاستقرار في جنوب القوقاز، وهو ما منح الدولة الجورجية الناشئة فرصة للاستمرار خلال السنوات الأولى من استقلالها(Gotsiridze, 2020: 48).

سعت الحكومة الجورجية بعد انتهاء الحرب إلى الحصول على اعتراف المجتمع الدولي باستقلالها، فشاركت في الاتصالات الدبلوماسية مع دول الوفاق، كما عملت على توطيد علاقاتها مع الدول المجاورة. وفي 11كانون الثاني 1920 اعترف المجلس الأعلى للحلفاء بجورجيا اعترافًا فعليًا، ثم تتابعت الاعترافات الدولية، الأمر الذي عزز مكانة الدولة الجورجية في النظام الدولي بعد الحرب، وإن ظل استقلالها يواجه تحديات كبيرة نتيجة الصراع بين القوى الكبرى في القوقاز إلا أن هذا الاستقلال لم يدم طويلًا، إذ استغل البلاشفة اضطراب الأوضاع الداخلية والخارجية، فدخل الجيش الأحمر الأراضي الجورجية في فبراير/شباط 1921، وتمكن من السيطرة على تبليسي في 25فبراير 1921، لتُعلن بعدها جمهورية جورجيا السوفيتية، وينتهي بذلك أول عهد للاستقلال الجورجي في العصر الحديث. ورغم قصر هذه التجربة، فقد مثل استقلال 26أيار 1918 محطة تاريخية مهمة في مسيرة الشعب الجورجي(Gotsiridze, 2020: 57) .

الخاتمة

شكّلت الحرب العالمية الأولى مرحلة مفصلية في تاريخ جورجيا الحديث، إذ لم تكن مجرد ساحة للعمليات العسكرية بين الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية، بل كانت نقطة تحول أساسية في مسيرة الشعب الجورجي نحو الاستقلال وتأسيس دولته الحديثة فقد أدت الأهمية الجيوسياسية لجورجيا، وموقعها الاستراتيجي في منطقة جنوب القوقاز، إلى جعلها محورًا للتنافس بين القوى الكبرى، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على أوضاعها السياسية والعسكرية والاقتصادية خلال سنوات الحرب.

أظهرت الدراسة أن خضوع جورجيا للإمبراطورية الروسية منذ مطلع القرن التاسع عشر لم يقضِ على الهوية القومية الجورجية، بل أسهم في تنامي الحركة الوطنية التي استثمرت المتغيرات الدولية والإقليمية للمطالبة بحقها في تقرير المصير كما بينت أن مشاركة الجورجيين في الجيش الروسي خلال الحرب العالمية

الأولى، وما شهدته جبهة القوقاز من معارك وعمليات عسكرية، كان لها أثر بالغ في تشكيل الوعي السياسي لدى النخب الجورجية وتعزيز تطلعاتها نحو الاستقلال.

أوضحت الدراسة كذلك أن الثورتين الروسيتين عام 1917 مثلتا نقطة التحول الرئيسة في تاريخ جورجيا، إذ أدى انهيار السلطة القيصرية ثم الحكومة المؤقتة إلى ظهور فراغ سياسي في منطقة القوقاز، استغلته القيادات الجورجية لتأسيس مؤسسات سياسية مستقلة، ثم الدخول في مفاوضات مع القوى الإقليمية والدولية، وصولًا إلى إعلان استقلال جورجيا في السادس والعشرين من أيار 1918.

كما كشفت الدراسة أن استقلال جورجيا جاء نتيجة تفاعل عوامل داخلية تمثلت في تصاعد الحركة القومية الجورجية، وعوامل خارجية تمثلت في انهيار الإمبراطورية الروسية، وتغير موازين القوى خلال الحرب العالمية الأولى، والتنافس الألماني والعثماني في منطقة القوقاز ورغم أن هذا الاستقلال لم يدم سوى سنوات قليلة بسبب التدخل السوفيتي عام 1921، فإنه مثّل الأساس الذي استندت إليه جورجيا عند استعادة استقلالها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991.

المصادر:

أولا: المصادر العربية:

1- التميمي, وجدان روكان, (2026), السياسة الإيرانية حيال جورجيا 1991–1997, مركز دراسات البصرة.

2- الزهيري, ستار شدهان (2024), جورجيا بين التحديات الاصلاحاتالسياسية والاقتصادية وتحقيق الوحدة الوطنية وتطوير الاقتصاد الوطني, مجلة جامعة واسط, العدد26.

3- العلاق, عامر علي, (2010), التوجهات الإسرائيلية تجاه القوقاز, المجلة السياسية الدولية, العدد13.

4- محمد, فيان احمد (2017), الحركات الانفصـالية في دولة جورجيا دراسـة في الجغرافية السـياسـية, مجلة اوروك, العدد3.

5- مهدي, لبنى خميس, (2015), الأهمية الاستراتيجية لجمهورية جورجيا وفق المنظور الروسي, مجلة جامعة كربلاء العلمية, العدد4.

ثانيا: المصادر الأجنبية:

1. Gotsiridze, G. (2020). The legacy of the First World War in the Transcaucasia from the perspectives of the new humanities. *Балканистичен Форум*, *(2)*, 48–57.
2. Janelidze, O. (2009). *The new and modern history of Georgia*. Universali Publishing House.
3. Janelidze, O. (2018). The Democratic Republic of Georgia (1918–1921). *Pamięć i Sprawiedliwość, 31*(1), 168–190.
4. Jones, S. F. (Ed.). (2014). *The making of modern Georgia, 1918–2012: The First Georgian Republic and its successors*. Routledge.
5. Khonelidze, Z. (2023). The consequences of the First World War for Georgia. *Collection of Scientific Works of Sokhumi University, 19*.
6. Shvelidze, D. (2003). Georgia at the beginning of the twentieth century (1900–1904). In *History of Georgia: The Twentieth Century*. Tbilisi University Press & Artanuj Publishing House.
7. Surguladze, A. (1972). Georgia during the period of the Transcaucasian Commissariat and the Seim (October 1917–May 1918). In *Essays on the History of Georgia: Georgia, 1900–1921* (Vol. 6). Sabhota Georgia Publishing House.

8. Tsereteli, M. (2014). *Georgia and the World War* (N. Geguchadze & L. Tsikhiseli, Trans.). Petit Printing House.

9. Uludağ, M. B. (2015). The constitutional development of Georgia throughout the twentieth century and its impact on political structures. *Yeni Türkiye, 7*(77).

10. Vachnadze, M. (2003). The restoration of Georgia's state independence (1917–1918). In *History of Georgia: The Twentieth Century*. Tbilisi University Press & Artanuj Publishing House.